عِنَاية ابن الشَّعَّار المَوْصِلي بأعلام الأندلس والمَغْرب

أ. م. د. نزار شكور شاكر *

● مقدمة :

في مسيرة التراث العربي ثمَّة مصنَّفات خالدة، حرص أصحابها على إيداعها جهودهم، ومنها كتاب قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور بعقود الجمان في شعراء هذا الزمان، لابن الشعَّار المَوْصِلي (ت٦٥٤هـ)، ويهدف البحث الحالي إلى تسليط الضوء على عناية المُصنِّف الأدبية والنقدية بأعلام الأندلس والمغرب في القرنين السادس والسابع الهجريين على وجه التحديد في مؤلّفه المذكور، وذلك باستقراء المعلومات المتوافرة عن العينة البحثية فيه، ثم تقسيمها على وفق خطَّة تتضمن ثلاثة مباحث، تعقبها الخاتمة والنتائج، ويأتي بعدهما كشّاف مفصَّل بمصادر البحث ومراجعه. وتأتي أهمية البحث من أنه سيحاول على وفق المنهاج الوصفي الكشف عن حلقة من نتاج الأندلسيين والمغاربة رأى المُصَنِّف (المشرقي) أن يثبتها لهم لتتصل بسواها من سلسلة حلقات أدبهم الثرِّ ونقده بعد أن اعتنى بما يدور فيها في مصنَّفه الجامع.

الدراسة : تتجسَّد العناية في ثلاثة مظاهر، تتوزع على ثلاثة مباحث، على النحو الآتي:

● المبحث الأول : توثيق الأدب

أ- الشعر: ليس غريباً أن يعدَّ ابن الشعّار من المهتمين برواية الشعر العربي وانشاده، ومنه الشعر الأندلسي والمغربي، إذ يحفل كتابه (قلائد الجمان) بطائفة من الأعلام الأدبية التي أنشدته شعرها مباشرة بعد أن تمَّ اللقاء بينهم، وعددهم (٢٢).

* كلية التربية الأساسية –جامعة السليمانية

فضلاً عن ما أُنشد (بواسطة) من شعر أولئك الجمع في البلاد التي جابها والبالغ عددهم (٣٧)، في حين أن (٦) من الأعلام المذكورين لم تتوافر لدينا الأدلة الكافية حول طبيعة الحصول على شعرهم المُوَدع في الكتاب، إذ اكتفى المُصنف باثبات نماذج من شعرهم فحسب. مع ضرورة الإشارة إلى أن ابن الشعَّار كان حريصاً على الظفر بالأشعار بوصفها مادته الأدبية من مصادر أو منابع ترجع إلى أصولها الأندلسية والمغربية تتوزَّع على الشاعر نفسه، ومن أنشده الشاعر شعره، ضمن إطار المعاصرة فضلاً عمَّن لم ينشده الشاعر، بل ظفر به (المنشد/الراوي) من طرق أخرى، ومنه ما جاء في سياق إنشاد بعض شعر صفوان بن إدريس المرسي، بقوله: «وأنشدني من شعره أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن أبي العافية البلنسي، وذكر لي أنه أدرك آخر أيامه، ولم يأخذ عنه شيئاً:... الأبيات».[١]

فضلاً عن أن البعض الآخر منها جاء عن طريق جماعة من المُنشدين المَشارقة، والأمثلة على ذلك وافية، وقد نلحظ حين المتابعة بين هذا الخطِّ الناقل للشعر المقصود وذاك، التداخل في السند الروائي بين (الخطين المغربي والمشرقي) أيضاً وهذا أمر وارد جداً، ومثاله قول ابن الشعّار: «أنشدني الصاحب الوزير أبو البركات الإربلي – رضي الله عنه– قال: أنشدني أبو الرّوح عيسى بن محمد التاكرني القرطبي، قال: أنشدني يزيد بن صِقلاب لنفسه :... البيتان ».[٢]

ولعلَّ في تداول هذه الطائفة من الأشعار المُنشدة في الكتاب المذكور بين الرواة والمُنشدين من لدن المغاربة والمشارقة، والإقبال عليها بشغف ضمن حدود البحث وعينته، ما يوحي إلى القول بتوافر السعي الحثيث إلى ذيوعها في الأوساط الأدبية في البلاد المشرقية آنذاك، بعد أن لاقت نماذج نصيَّة كثيرة منها استحساناً يذكر، ولاسيَّما وأن المعنيين بهذا الأمر من الأندلسيين والمغاربة كانوا أنفسهم ينشدون شعرهم وشعر غيرهم من أقرانهم وسواهم[٣]، فقد كانوا أدباء ينمازون برصيد ثرٍّ من الروايات الموثَّقة، فضلاً عن تلك المحفوظات الأدبية التي سهَّلت العملية التواصلية بالأدب الذي يمثِّلونه، وينتمون إليه، ويسعون إلى نشره، إذ كان الأديب أبو محمد الأندلسي الداني : « يحفظ من أشعار الأندلسيين، والرسائل والموشّحات صدراً جيداً ».[٤]

ولاريب في مقدرتهم الأدبية هذه في ضوء أنهم كانوا ومازالوا حُفاظاً ناقلين بامتياز للشعر العربي على الرغم من شيوع الكتابة، وتفشيها في ميدان نقل المعارف والعلوم منذ أمدٍ طويل. ومنهم عبد الرحمن بن علي السَبْتي الذي « قيل أنه استظهر على ثلاثين ألف بيت من الأشعار العربية».[٥]

ولعلَّ طبيعة الوظائف الكتابية التي تقلّدها بعضهم لأولي الأمر، ولا سيَّما في بلاد المغرب والأندلس من قبل حتَّمت عليهم هذا الإلمام الأدبي في إطار الاقتران المتلازم بين الأدب وصنعة الكتابة لما تتطلّبه الأخيرة من مهارات أدبية، كما جاء في خبر أبي زكريا الكاتب في أنه « كان يكتب لبعض بني عبد المؤمن المستولين على البلاد المغربية، وكان من الأفاضل في زمانه أدباً، وكتابةً، وقولاً للشعر، وحفظاً للأشعار».[٦]

وبالوسع أن نلحظ حجم التفاوت في الشعر المُنشد لجماعة (الشعراء) موضوع الدراسة

(أبيات، مقطعات، قصائد)، فضلاً عن أغراضه، ومع ذكر الخطوط العامة لمُنشدات ابن الشعَّار لاشكَّ في أن ثمّة أسباباً غير إرادية تقع دون الحيلولة في إكتمال عملية توثيق الأدب ضمن هذا الأفق على النحو المطلوب، ولاسيَّما إنشاد الشعر في المؤلّف المذكور، فصاحبه وعلى الرغم من أنه كان حريصاً حتى على رواية البيت المُفرد الذي يقع إليه من جهات عديدة. كما قال في أبي زكريا المُيورقي: «لم يقع إليَّ من شعره غير بيت مُفرد من قصيدة وهو:

حَفِيَتْ خَيْلُنَا وَعَزَّ عَلَيْنَا

فَجَعَلْنَا لَهَا الخُدُوْدَ نِعَالاَ» [٧]

لكن تبقى هنالك جوانب أخرى من نتاجات أدباء الأندلس والمغرب، بعد أن تمَّ ذكر المتوافر أو المتيسِّر منها فحسب على الرغم من كثرة أشعارهم، وما اشتملت عليه من مزايا تذكر كما قال في أبي الوليد البيغي الغرناطي: «وكان له... النصيب الوافر، والحظ الوافي من قرض الشعر... وله أشعار كثيرة، إلا أنني لم يقع إلي شيء منها غير ما أثبته».[٨]

ونستبعد أن تكون بعض الدواعي لعدم الإنشاد ذات علاقة بتبني الإتجاه المحافظ في التأليف كثيراً إذ اثبت ابن الشعّار لبعضهم طائفة لابأس بها من الأشعار اشتملت على أغراض شعرية متنوعة، تكاد تمثل أغراض الشعر العربي كافة، وتوجهاته، ضمن نظام الصدر والعجز حصراً، من غزل، ومديح، ورثاء، وهجاء، وأوصاف شتى...، ضمن أشكال شفاهية وكتابية كانت قد تناقلت عبرها الأشعار، سواءٌ أكان من الذين لم يلقهم، أم من الذين لقيهم وجهاً لوجه، وقرأ عليهم أشعارهم على نحو مباشر كما جاء مع ابن عربي الحاتمي بعد أن تدارس معه بعض أشعاره في الطريقة الصوفية التي أودعها في مصنفه بقوله: «وقرأت عليه جميع ما تضمنته هذه الأوراق وأنشدنيها»[٩]، وقوله في أبي الحسن السخَّاوي المغربي على نحو أوسع يقتضي التنوّع، بعد أن وفَّرت إجازته العلمية له فرصة سانحة للتوصيل المعرفي والأدبي عنه: «أجازني جميع ما رواه، ووصفه، وما أنشأه، وألَّفه».[١٠]

ولا شكَّ في أن طبيعة العلاقات التي تربط أفراد المجتمع ببعضهم كانت عاملاً مساعداً في توسيع قاعدة المرويات الشعريَّة، وما حصده ابن الشعَّار من جرَّاء ذلك الإحتكاك (المدني – الثقافي) خير مثال على فاعلية شخصيته القائمة على حبِّ روح التواصل مع الآداب.

ب- النَّثر الفني: بعد المحطة الأولى الرئيسة في هذا المبحث هنالك إلمام لا يرقى إلى مستوى إنشاد الشعر كماً ونوعاً من لدن ابن الشعَّار تمثَّل بنقل نماذج من النثر وتدوينها في ضوء ما ذكره من نصوص أدبية متنوِّعة لبعض الكتّاب محققة لهم، ومثبَّتة في سبيل المثال جرياً على عادة أغلب المؤلفين القدامى من المهتمين بتراجم الأعلام على وفق هذا النمط. وتشتمل الأعمال النثرية على أنواع الفنون النثرية المألوفة، فبعضها جاء على شكل رسائل نثرية متبادلة منها إخوانية بقصد التشوُّق بين الأحبة والصَّحب، تعارف الأدباء المتراسلون على تبادلها ضمن النطاق الاجتماعي، تقوم على المجاملات الشخصية، كما جاء لابن جبير البلنسي، وابن الزيَّات الكاتب[١١]، في حين ورد بعضها بصيغة مجاوبات رسمية حاسمة، اقتضتها طبيعة التراسل بين الأوساط المَعْنِيَّة بذلك الأمر، من نحو ما ورد في كلام

السـيد أبي الربيع المغربي «في جواب رسالة إلى ملك السودان بغانة وأعمالها ينكر عليه تعويق تجار وردوا عليه من المغرب:... الرسالة».(١٢)

كما أن قسماً آخر من النثر جاء على شكل خطبة (تقليديـة) في ذكر الموت لغـرض التعزية، بيد أنها تعدُّ خاصة، وغير مرتبطة بمحفل جمعي، تتوسطها قصيدة في المديح، وجميعها من إنشاء أبي نصر الأمـوي الأندلسي لقاضي حلب آنذاك، على حسب الحاجة إلى ذلك.(١٣)

ومن منطلـق الوعي بتعدد اسـتخدامات النثر في الموروث، بعد أن قطع شـوطاً من مسيرته في ميـدان الأدب، وظَّف ابن دحيـة الكلبي مظهر ذلك الالتزام المنهجـي بأن ختم بعض مؤلّفاته مـن الكتب بخواتيم أدبية طويلة تضم الشـعر والنثر معاً، كما جاء في آخِر أحد كتبه المسـمّى: (من ألقم الحجر، إذا كذب وفجر، وأسقط عدالة من الصحابة ماله أهجـر)، أومقاطع من النثر المحـدَّد بمزيَّة كما جاء في آخر كتاب له سـمَّاه «العلم المشهور في فوائد فضل الأيام والشهور» ففيـه كلام نثـري قائم عـلى فن السَّـجع كان (مناجـاة) كما وصفها لنا ابن الشـعَّار المُطَّلِع عليه.(١٤)

ولاشكَّ في أن طبيعة الفنون النثرية القائمة على وفـق أغراض متعددة تقتـضي تفاوتاً ملحوظاً عـلى طول القطعة أو قصرهـا، فبعض الفنون يحتـاج إلى قـول أكثر مـن غيره، كـي يبلغ إلى هدفـه، في حـين أنَّ أدب التوقيعـات يقوم على اختصار دالٍ في القول، من نحو ما نجده في أحد توقيعات السـيِّد أبي الربيع، ذلك أنه: «وقَّع إلى عامل له، كثُرت الشكاوى منه:

«قد كثُرت فيك الأقوال وإغضائي عنك رجاءً في أن تنصلـح، فتنصلح الحـال، وفي مبادرتي إلى ظهور الإنكار عليك ينسـيني إلى سوء الاختيار، فاحذر فإنَّك على جُرف هار ».(١٥)

● المبحث الثاني : النَّقد الأدبي

نلحظ ضمن هذه الدائرة البحثية بعض الإلمامات النقديـة بصنف الأدب الأندلـسي والمغربي لدى ابن الشعَّار، ولاسيَّما فيما يتعلَّق بمسألة تحكيم الذوق الشـخصي ضمن تلـك النظرة العامة إلى مُجمل النتاج الشـعري للشـاعر، وما يقتضيه الحال من إطـلاق أحكام ذاتيـة مُوجزة تروق للمؤلّف، وتُسعفه في لحظة التأليف، لتترك بعد ذلك انطباعاً ما لدى المتلقي حول شعر الشاعر، والأمثلـة على ذلك كثيرة ومألوفة، من نحو قوله في شـعر أبي زكريا الغرناطي: «يقول شِعراً لا بأسَ به».(١٦)

وعلى نحوٍ متدرَّج من مسـتويات القول في هذا المجال نجد أنَّ أمثلة القطع بالاستحسان للشعر كثيرة، وتـكاد تولِّد ظاهرة تمتـد بجذورها إلى بدايات فن النقـد القائم على أصل الفطرة لدى الإنسان، كما في قوله في شعر أبي عبد الله البلنسي : «وله شعرٌ مليح، وقولٌ عذِب».(١٧)

ولا تخلو هذه الأشـكال من الأحكام غير المُعللة تعليـلاً كافيـاً نظـراً لطبيعتها الإشـارية، على حسب وظيفتها في النسـق التأليفي، من فائدة مرجوة غير خفيَّة تذكر، ولا سـيَّما وأنها أيضاً تعدُّ خطوة ضمن مستوى آخر من عملية إطلاق الملاحظـات النقدية المنتظمة في إطـار ناقد، في ضوء :

١- إفادة بعض الإشارات الدالة من هذا النطاق في الوقوف على صورة سـلوك الشـاعر بشعره اتجاهاً شعرياً سواء أكان المُحافظ، كما قال ابن

الشـعَّار في أبي محمد المراكـشي بناءً على صفة شعره فـ: «هو شاعر، صالح المنظوم».[١٨]
أم سواه من اتجاهات وذلك بتبني الشاعر آليات معيَّنة ترتبط بفنية الغرض الشعري، وملامحه الدالة، على نحو ماجاء لدى ابن خروف القرطبي الذي كان:« حسَن الشِّعر، يتخالَع فيه».[١٩]
٢- بروز حكم مقترن بالذائقة النقدية والتقبُّل النفسي للشِّـعر، بواسطة فنِّ تفعيل الحواس في عملية الإسـتقبال، لايرتبط بالحالة الآنية كثيراً، بل يقوم على وفق تراكمات معرفية سابقة، كما جاء في قول ابن الشعَّار في أبي محمد الشاطبي: «ولم يكن شِعره سائِغا بل متوسّطاً، يظهر فيه التعسُّف».[٢٠]
٣- تفتـح هـذه الرؤيـة المطروحة على بسـاط النقـد بمجملهـا السـبيل نحـو المـرور صوب بعض المحاور الرئيسـة التي تعامل معها النقد التطبيقي للشـعر العربي في مسيرته، من نحو قضية المَعنى الشعري، ولا سيَّما مسألة الإجادة والابـداع فيه التـي تختصُّ بأكثر مـن إنموذج للشـاعر، ومنهم الشـاطبي الـذي: « كان جيِّد المعرفة بمعانِي الشعر».[٢١]
وقـد نلحظ في مكان آخـر إرتباط هـذا التوجّه النقدي برصد ما للمعنـى القائم من صفات في نصٍّ محدَّد بعينه، بواسـطة الإعتماد على النقل من مصادر سـاندة لا غنـى عنها، وذلك بعد أن سـعى ابن الشـعَّار في التفاتة ذكيـة منه إلى أن يكون في موقـف التأييد النقدي لمـا جاء في هذا الإطـار بقولـه في أبيات الغـرض الوصفي لابن حريـق البلنسي: أنشـدني أبو عبـد الله بن أبي أحمد بن أبي بكر الشـاطبي الأنصـاري، قال: أنشـدني أبو الحسـن علي بن محمد بن حريق لنفسـه في غلامٍ أعور، وأحسن فيما قال، وأبدع في المَعنى:

لَمْ يَعِبْـكَ الذي بِعَيْنَيكَ عِنْدِيْ
أنْتَ أعلى مِـــنْ أنْ تُعَابَ وأسْنَى
لَطَفَ اللهُ رَدَّ سَـهْمَيْنِ سَـهْماً
رأفـةً بالعِـبادِ وازْدَدْتَ حُسـْنا [٢٢]

كمـا وأفـادت المعـاصرة القائمـة بـين المؤلِّف والناظم للنـص أيضاً هذا المسـار، إذ نقل ابن الشعَّار استحسان (الشـاعر/الناظم) المعاصر نفسـه لمعنى غيره من معاصريه، مما حداه أن يعمل أبياتاً له عليه، وجعله واحداً منها. قال ابن الشـعَّار: «وأخبرني ابن العربي، قال أنشـدني بعض الفقراء، بيتاً مُفرداً، لا يعرف أخاً، وهو :

كُلُّ الذي يَرْجُو نَوَالَكِ امْطِروا
ما كـانَ بَرْقُكِ خُلَّباً إلاَّ مَعِيْ

فأعجبني مغزاه، وقفوتُ معناه، فعملت أبياتاً، جعلته واحداً منها :

قِفْ بالطُّلُولِ الدَّارسَاتِ بلَعْلَعِ
واندُبْ أحِـبَّتَنَا بذَاكَ البَلْـقَعِ

... الأبيات».[٢٣]
ويبدو أنَّ السـبب في مثل هذا التعلُّق سواء بفن التضمين أم التذييل وسـواهما قـد يعود إلى أن هنالـك اتفاقاً حاصلاً حول أفادة بعض المعاني الشـعرية لدلالـة ذات مزايا توظَّـف في مكانها الأصيل على الأقل في بادئ الأمر، أو قد تُسـتثمر فنياً بعد ذلك في نص آخر من لدن آخرين التفتوا إليها بعـد أن وجدوا فيها مزيَّة ما تفيد سـياق قولهـم فـ «عـلى قدر وضوح الدلالـة، وصواب الإشـارة، وحسـن الاختصـار، ودقـة المَدخـل، يكون إظهار المعنى. وكلّما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشـارة أبين وأنور، كان أنفع

وأنجع»[٢٤]

ولم يتوقّف تتبع مزيَّة المعنى الدال على الغرض عند نطاق الشعر فحسب، بل نقل لنا المؤلِّف من ميدان النثر صورة ناصعة لتلك المعاني الفريدة التي خرج بها النثر (التأليفي- اللغوي)، بعد أن كان قد أجمع عليها أهل هذا الشأن من القدامى، وذلك بقوله في معرض أحد أعمال أبي موسى الجزولي المراكشي في النحو العربي: «وهو صاحب المقدمة الجزولية المشهورة في علم الإعراب التي سارت وانتشرت في الآفاق، واستجادها أهل هذا الشأن، واستحسنوها غاية الاستحسان، وشهدوا لمصنفها بالتبريز والسبق على أبناء جنسه، واستخاروها على مصنَّفات القدامى من النُّحاة، وكتبت بها النسخ لكونها فريدة في معناها».[٢٥]

وعلى ذكر قضية المعنى في سياق النثر نلمح بالمقابل الإشادة أيضاً بجانب توظيف الألفاظ تحديداً فيه، في محاولة لتعيين مواطن الاستحسان في سياق بعض الرسائل النثرية، مقرونة ببيان اقتفاء بعض الأندلسيين أثر كبار أدباء الطريقة المشرقية في هذا الجانب في تلميح إلى قضية (التجديد والتقليد) التي يعتمد الحديث فيها على استخدامات اللفظ والمعنى من دون شك، ومنهم أبو الحسن الكاتب الذي «له رسائل حسنة، وألفاظ بديعة معتبرة، وكان يميل في رسائله وشعره إلى طريقة أهل المشرق، وحصل من عندي كثيراً من ترسُّل القاضي الفاضل، والعماد الكاتب وغيرهما- رحمهم الله-».[٢٦]

وضمن مجريات أسلوب الطرح كان لاستحسان الأبيات الشعرية ثمّة تعقيبات نصيَّة تمثل إضاءات (فنية – نقدية)، بعد أن جاءت ضمن روايات تبدو محبَّبة لدى بعض المتلقين على امتداد مسيرة تاريخ الأدب، وقريبة من نفوسهم، لذلك تم تناقلها، ففي بعض الأخبار المذكورة التي نقلها ابن الشعَّار بهذا الصدد نجد إقدام الناظم على قيامه بالتذييل الشعري هذه المرة على بعض أبيات سابقيه بعد أن راقت له، ثم الزيادة عليها بأبيات لاحقاً من آخرِ بطلب، بقوله: «وأخبرنا الشيخ علم الدين... قال: أخبرنا الشاطبي، قال: كان ابن السمَّال كثيراً ما ينشد:... البيتان، قال الشيخ الشاطبي، فحملني استحسانهما على الزيادة فيهما، فقلت:... الأبيات، قال الشيخ : وسئلت الزيادة فيهما، فأنشأت هذه الأبيات:... الأبيات».[٢٧]

ولعلَّ بالامكان أن نعدَّ عملية (النقل/الأخذ) التي جرت بين الشعراء للشعر ضمن هذا الاتجاه أيضاً، على الرغم من أننا لم نعثر على جهود ابن الشعَّار الشخصية في محور بيان الأخذ الشعري بل وجدناه قد أشار فحسب ضمناً إلى نقل أبي زكريا الحريزي من قول المعتمد بن عبَّاد بعد أن أورد الخبر الذي ذكر فيه أبو البركات ابن المستوفي ذلك بقوله :« وأنشدني، قال أنشدني الحريزي لنفسه :... الأبيات

ثم قال أبو البركات: هذا منقول من قول المُعتمد محمَّد بن عبَّاد – ملك الأندلس- :

وكَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بِتُّ انْعَمُ جُنْحَهَا

بِمُخْصَبَةِ الأرْدافِ طَيِّبَةِ النَّشرِ»[٢٨]

وقد يقترب ابن الشعَّار قليلاً من حقل التماس مع شكلٍ من أشكال النَّقد اللغوي التطبيقي لبيان المعنى المقصود من الشعر، فضلاً عن أن اللفظ في عدَّة نقاط تشير ظاهراً إلى توافر

الأرضيــة المعرفيــة للخــوض في هكــذا جانب، وذلك حينما تأتي تعقيباتــه النقديَّة المحدودة جداً محصورة على أماكن في نصوص شــعرية بعينها، كما جاء في:

١- فقرة شرح معنى بعض الأبيات الشــعرية، ضمــن غــرض معــروف باعتمــاد مختصرات لفظيــة معــدودة للمعنــى الشــعري القابــل للشرح، لا تتعارض مع السياق، من نحو قوله عقب أبيــات ابن خروف القرطبــي: «في هجاء رجل مغربي يقال له ابن السُّمَيل:

أيَا نَجْلَ السُّميلِ سُلِمْتَ حَتَّى
غَدَوْتَ مِنَ المُمَزَّقَةِ الرِّثَاثِ

... الأبيات، أي هو أقرع، وله قرون، و...».[٢٩]

٢- في تصويــب اســتخدام اللفــظ في الشــعر للدلالــة على المعنــى بصــورة أدق وأفصح ممّا يدخل في إطار أحد مجالات النقد اللغوي التي تعمل على التمييز بــين اللغات، وبيان ما يجب أن يؤخذ به منها، من نحو ما جاء بعد إنشــاد أبيات أبي القاســم ابن رواحــة الصقلي ابتداء قصيدة عملها في الملك العادل... أوّلها :

«صَبْراً لَعَلَّكَ في الهَوى انْ تُنْصِفَا
أو أنْ تَرِقَّ لمُدْنِفٍ أو تَعْطِفا

... الأبيــات، غفــا، لغــة رديئــة، وإنَّمــا يقال : أغفى»[٣٠]

ولــم تطُــل بــه الحــال حتــى اعتمــد في هذا الجانب على رواية ابن المســتوفي عن الشــاعر في توضيــح المعنــى المــراد مــن توظيف أحد ألألفــاظ في السِّــياق الشــعري (المُبكِــر) له، كمــا جاء في قوله في شــعر الهيثــم بن جعفر الإشــبيلي :« وهو أوَّل شــعر قاله في المكتب :

هَلْ تَبَدَّى في النَّاسِ وَجْدٌ كَوَجْدِي
بِهلاَلَ الملاَحِ يَحــيَى بنِ رُشْدِ

... الأبيات، أراد بقوله «اللاهي» من اللهو». [٣١]

ولــم تقتصر مرتكــزات النقد الذاتــي لدى ابن الشــعَّار، على ذكــر الاستحســان ضمن قضية اللفــظ والمعنــى وتبعاتها فحســب، بل أشَّرت حضــورا في حــدود قضيَّــة مهمة أخــرى هي الطبــع أيضاً، ومن ذلك الاقتران الصميمي بعد ارتبــاط الطبــع بطبيعة القريحة الشــاعرة في عمل الشعر قوله في أحد شعراء الأندلس يعرف بابــن غَميَضــا: «كان ذا طبع في عمل الشِّــعر، وقريحة حسنة في نظمه»[٣٢]

وتزامن مع ذلك أيضاً قيام ابن الشــعَّار ببيان بعض مُوجبات هذا التوجُّه الفطري الذي تأثَّر بالجانــب الاجتماعــي، بعد أن نقــل لنا اعتماد الطبع الشــعري لدى ابن خروف القرطبي على عنصر الظَّرافة في الشــخصيَّة في إطار علاقاته الاجتماعيــة، ولاســيَّما مع بعــض المقرَّبين من الأصدقاء الشعراء، قائلاً: «وكان من المطبوعين في الشــعر، وظــرّاف النــاس في وقتــه... وكان صديقاً لابن لهيب الشــاعر، وبينهما انبســاط يقتضي الاسترسال معه في المُداعبة».[٣٣]

وانطلاقاً مــن قاعدة ضرورة توافــر متطلَّبات التأليف الساندة، تظهر اســتعانة ابن الشعَّار ببعضهــم في ســياق إشــارته الدالــة إلى نظــم الشــاعر القائم على أســاس الطَّبع، لاستكمال تكويــن صورة العلم، إذ نَقَــل عن أبي البركات ابــن المســتوفي قوله في أبــي عبد اللــه الوكيل: «وكان أبــو عبــد الله، شــيخاً حســناً، ظريفاً، مطبوع النظم»[٣٤]

وارتبطــت بقضيــة الطَّبــع مزايا منهــا مزيَّة

البديهــة والارتجــال الآني، والإكثــار منه، كان قد أشــار إليها المُصنِّف - بعد أن رصد بالمقابل من كان مُقِلاً من قول الشِّعر من الشعراء -[٣٥] بقوله في صفة أبي الحسن التلكاني المغربي حين مزاولة النظم : «وكان شــاعراً مُكْثِراً من النظم، وعمل الموشَّــحات، قادراً على إنشائه وارتجاله، يصنع منه ما شــاء في ســاعة واحدة بغير فكرة ولا رويَّة».[٣٦]

ورصد ابن الشعَّار هذا الأمر أيضاً بعد أن ظهر عند ممارســة (الفن القولي) لــدى بعضهم وما يتطلّبــه من توافر شــواهد الفصاحــة والبلاغة على ذلك، والترسُّــل على السجية في اللغات التي اتقنها، ولاســيَّما في معرض التصدي لفن كتابة الرســائل وما يعتريها من مواقف آنية يُفْترض بهــا أن تمنح أولا المزيَّة الأدبية لمنشــئها القائم عليها. قال في الســيد أبي الربيــع المغربي كان: «فصيح العبــارة في اللغتين، متمكناً من البراعة والبلاغتــين. بلغنــي أنــه كان يملي عــلى كاتبه الرســائل الصنيعة بغــير توقــف، وإذا عرض لــه أمر يحتاج إلى الخطابــة اخترعه بلا تكلف، وكذلك يفعل في اللغة البربرية».[٣٧]

وفيما يتعلَّق بمســألة الصنعة التي تخصُّ عمل القصائد والموشّحات والأزجال الأندلسية، فيبدو أن ابن الشعَّار قصد فيها بيان الصنعة البنائية الظاهــرة لفنون الشــعر حينما قــال في صنعة ابــن خروف القرطبي الأدبية: «وله يد باســطة في عمل المُوشَّــح، والأزجال الأندلسية، وكان من أقــدر الناس في صنعتها».[٣٨] يأتي ذلك في إطار مرافقة عملية انشــاد الشــعر لدى ابن الشعَّار ولاســيَّما مــع بعض القصائــد بيانــات بدائية ترتبط بمظهرين هما: تشــخيص عددي لأبيات الشعراء من نحو ماجاء منها على شكل شعري طويــل ضمن قصائد بعضهم، بل أنه شــخَّص من كان مُطيلاً من الشــعراء، ومنهم عبد المنعم الجلياني الذي «كان شاعراً مُطيلاً» .[٣٩] فضلاً عــن تحديد موقع الأبيــات ضمن بنية القصيدة العربية التقليدية على أســاس مــا تعارف عليه النُّقاد، من نحو الإشارة إلى مقطع الابتداء فيها، ثــم تخلُّصهــا إلى الغرض الشــعري الرئيس في القصيدة، ومن بعد الخاتمة[٤٠]

وكما رأينا في نماذج ســابقة، فقد أفاد التعريف الأدبي بالشــخصيات بحســب طبيعة التأليف وســياقاته المتَّبعة في الوصــول بعض الشيء إلى تبلــور مفهوم حــول طبيعة النقــد الذاتي لدى ابــن الشــعَّار، واجراءاته في ضوء تشــعّباته في المجــال الفني- الأدبي، والتي قد تعود لتنحصر ضمن قضية كبرى هي (اللفظ المعنى)، إذ نرى فيه أيضاً ذكر ما تنماز به بعض الشــخصيات الأندلســية والمغربيــة مــن الوجهــة الأدبية من مواهــب تشــير إلى مدى الملــكات الأدبيــة التي تمتلكها من نحو ملكة (البلاغة) في التعبير، وما يتبعها من مزايا تسجَّل للأديب في المحافل ذات الســمة الشــفاهية أو الكتابية، لعلَّ من أبرزها بيان قدرته الكلامية والكتابية، وما تقتضية في الحصيلــة الختامية من وفــرة في الناتج، يترتَّب عليها تقدُّم علمي يُشْــار له بالبنان، كما جاء في قوله في أبي الحسن الغرناطي الذي كان «إماماً في البلاغة، والخطابة، والشِّــعر، والكتابة، قادراً على إنشــاء الكلام نظماً ونثــراً... مُقدماً في علم الأدب والعربية».[٤١]

وحظِيَت (الفصاحة) كذلك بعناية ابن الشــعّار الــذي اكتفــى برصدها – حال البلاغــة - لدى

جملــة مــن الأدباء في ضــوء أدبهــم الوافر، ولم يحددهــا في نصــوص معيَّنــة، ومنهــم أبو زيد القرطبــي الــذي أرجع له الفصاحة في الإنشــاء لتقدّمــه فيــه بشــواهد ترتبط بوضــوح بالكم القــولي، بقوله فيــه: «مقدَّم في الأدب...، شــاعر مقتدر على الكلام، صاحب فصاحة في الإنشاء... وله شعر كثير في كلِّ نوع»[٤٢]

وبتكــرار ذكر الاقتران الأثير بين البلاغة والأدب، والفصاحة بالشِّعر، وذلك في قوله أيضاً يذكر أبا زكريا المُيورقي، ويصفه بقوله كان: «أديبا بليغاً، شاعراً فصيحاً».[٤٣] يكون قد أفرز التقديم على وفق هذا المفهوم ببساطة، ومخرجاته الوصفية العامة، معطياتٍ ذات طابع (نقدي – ذاتي)، إذ يرتبط الحديث عــن البلاغة والفصاحة والفرق بينهما في الأدب بقضية اللفظ والمعنى فيه «وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهي تتعلَّق باللفظ، لأنَّ الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى، والبلاغة إنّما هي انهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى».[٤٤] وانطلاقاً مــن هذا الأفق المعرفي، ثم التوسُّع فيه لاحقاً قيل في الفرق بينهما: «والفرق بين الفصاحــة والبلاغة، أنَّ الفصاحة مقصورة على وصف الألفــاظ، والبلاغة لاتكون إلاّ وصفاً للألفاظ مع المعاني».[٤٥]

ونمــضي قُدُماً لتتبُّــع تنوع أســاليب التعريف بالشــخصية الأدبية، وما أفضت إليه من دلالات نقدية كانت تنســج على المنــوال الذاتي، ضمن نمط آخر يســتند إلى أسلوب الموازنة الأدبية على وجه العموم في ميدان القول الشعري، ومنه نقرأ قول ابن الشــعَّار في ناهض بــن إدريس الوادي آشي، بعــد أن اعتمد صيغــة التفضيل (الزماني – المكاني) لشــعر الشاعر الأندلسي عمَّن سواه: «كان شاعر قطره، أشعر من ذُكِرَ في عصره»[٤٦] ونجــد في بعــض الحــالات ارتباط هــذا البيان بأغــراض معيَّنــة أحياناً عند أحد الشــعراء من دون سواه من نحو المديح والهجاء في مؤشِّر على انتقال الإشارات النقدية لدى المُصنِّف بين الحين والآخر انتقالة مؤقتة من الكلِّ الشعري إلى الجزء المخصــوص منه، كان لها في هذا الموضع مغزىً ثنائــي البعد، إذ ســهَّلت على الراصــد الخروج بنتيجة دالة تفيد المتلقي في الوقت نفسه ببساطة في تكويــن (فكــرة) مــا عنه ترتبــط بنصوص في ظــل ثنائية المديــح والهجاء، ضمــن النطاق الفنــي- النفــسي، وذلــك من نحو قولــه في أبي زكريا الحريزي بعد أن قدَّم لنا صورة عمَّا كان عليه حال هذا الشــاعر مع تجربة قول الشــعر، إذ: «كان شــاعراً قوي القريحة، غزير المادة، له شعر كثير في المدح والهجاء، وكان رديء اللِّسان، خبيث الطويَّة، ما مدح أحداً إلاّ عاد وهجاه».[٤٧]

ومع تبايــن المقاصِد من الــكلام تتباين الزوايا في النظــر إليهــا ومحاولة تبريرهــا، إذ برَّر ابن الشــعَّار لابن عربي على نحــو غير فنِّي ما انماز به طابع كلامه في حقل الحقيقة حصراً، بعد أن برز فيه على نحوٍ ملحوظ بقوله وقد استحســن الحــال: «وله كلام حســن في الحقيقة يأتيه من غير اشــتغال بالعلم وقد رزقه الله تعالى خاطراً متوقِّداً، فانثال عليه هذا الكلام انثيالاً، ووفِق في اســتنباطه توفيقاً عجيباً، ما حــيَّر العقول عند سماعه، وسلب القلوب في إيراده».[٤٨]

ولعلَّ الفرق في طبيعة الإشــارة جاء بعد أن كان الحريزي مُشتغلاً على حقل يرتبط فيه الإنسان بآخر من جنسه، وليس بالضرورة أن يبقى على حــالٍ واحد معــه، اما لدى ابن عربــي فقد كان

الإنسان فيه طرفاً من الحقيقة فحسب.

● **المبحث الثالث :**

بيان النتاج الأدبي و اللغوي

نصل في هذه الفقـرة إلى أنَّ من مظاهر العناية بأعـلام الأندلـس والمغـرب لـدى ابن الشـعّار الإشـارة إلى نتاجاتهـم ولاسـيَّما الأدبيـة منها واللغوية، وبيان جهودهم الفنية فيهما من نحو ماذكر لأبي الحسـين الزواوي بعد أن بيَّن أن له مزيَّـة الاقتـدار على النظـم، وتمكّنه من صنعة الرجـز بأشـكاله، موازنـاً في هذا الإطـار بينه وبـين المتقدمين في نظم بعض الأعمـال الأدبية الإبداعية، بقوله فيه : «وكان من أقدر الناس على المنظـوم، وصنعة الرَّجـز، فإنه نظم قصيدة في القراءات السَّبع، وكتاباً مضمونه «المثلث» نظماً وهو على صورة رجز مزدوج، وأخذ نفسه بنظم كتاب «الصحاح» لأبي نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهري، فنظم أكثره، ونظم ألفاظ «الجمهرة» من جنس خطبـة كتاب «الفصيح» لأبي العلاء المعرَّي، وله مُقدمة تعرف بـ«الفصول» منثورة، ومقدمـة تعرف بـ «الـدرة الألفيـة» منظومة كملحة أبي محمد الحريري، وله مُقدمة تعرف بـ «القبـس في علم العروض» منظومة، وبدأ في منظومة جامعة سـمَّاها «الغاية في النحو»، وله كتاب في جمع أبيات سيبويه باختصار منظوم، يجعل بإزاء كل بيت له يضمنه ما استشـهد به فيه، وله في العروض نحو ذلك».[٤٩]

وتشير أخبار ابن الشعَّار إلى أن بعضهم آثر أن ينظم بعض الكتب الموضوعة في علوم إنسـانية نظمـاً لأغـراض «تعليمية – تثقيفيـة» بفنون الشـعر والرَّجز المشروعة لذلـك الأمر، كما جاء في أخبـار أبي نصر الأندلـسي الذي «نظم كتاب «المفصَّل» لأبي القاسـم الزمخـشري أُرجوزة، وعمـل كتـاب «الإشـارات» لأبي علي بن سـينا شعراً».[٥٠]

ورافقـت هـذا الأمـر ظواهـر، فقـد حـدث أنَّ بعـض المؤلِّفين الشرّاح اهتمَّ ببعض المنظومات التعليمية التـي تعود لأحد مشـاهير النُظَّام في المجال على وجه التحديد، فقد اختص أبو الحسن السـخاوي الذي اهتم بـشرح المنظوم، ببعض قصائد أبي القاسم الشـاطبي في علم القراءات القرآنيـة ضمـن مصنفاته العديـدة: «وصنَّف كتباً منها: كتاب فتح الوصيد في شرح القصيد» وهي قصيدة أبي القاسم الشاطبي في القراءات السـبعة، وكتاب «الوسـيلة إلى كشف العقيلة» شرح القصيدة التي نظمها الشـاطبي أيضاً في رسـم مصحف عثمان – رضي الله عنه – وهي مائتان وثمانية وتسـعون بيتاً على قافية الراء، سمَّاها الشاطبي «عقيلة أتراب القصائد»[٥١]

وفي هذا الميدان الفسـيح نجد أيضاً من كانت له اهتمامات أدبية من نظم وسواه من متعلِّقات به جعلته مولعـاً بجمع بعض «المختارات الأدبية» لأغراض ترفيهية ضمن كتاب أو أكثر يقوم على وفق منهاج معيَّن، ومنهم أبو الحسـن التلكاني المغربي الذي «له معرفة بعلم العروض والقوافي وعنايـة بتأليف الأشـعار، وجمعهـا وترتيبها، ويلزم نفسه ذلك،... وجمع كتاباً سمَّاه «نفائس الأعلاق في مآثر العشـاق» وعمله مبوَّباً، عشرين بابـاً، أودع فيه مـن بدائع الحكايـات، ونوادر

الأشعار. وظفرت له بكتاب آخر، لقبه بـ «زناد المقتبس في ملح أهل الأندلس»... والأشعار التي ضمَّها الكتاب على حروف المعجم، ولم يأت فيه بغريب من الشعر».[٥٢]

ويفتح هذا الخبر المجال للقول بأنه يظهر أن من جملة الدوافع التي قادت الأعلام المذكورة إلى التأليف والنظم المذكور لم تكن بصورة تعليمية وتقويمية محضة في مجال اللغة والأدب على وفق حاجة العصر إليها بعد أن أحسَّ بها المؤلِّفون المخلصون على لغتهم وأدبهم، كتلك التي لاقت صدى نقدياً في بعض البيئات التي خضعت للحكم العربي حيناً من الزمن (صقلية إنموذجاً).[٥٣]

إذ لم يكن النظم في الغرض (الموضوعي – العلمي) حاضراً فحسب على الساحة، والأدلة على ذلك كثيرة منها ما سبق فضلاً عما ورد في قول ابن الشعَّار في أبي محمد الأندلسي، وقد نظم في بعض الأغراض الذاتية كتاباً: «وعمل كتاباً سماه الحنين إلى الأوطان الغالب على النفس هواه والهوى سلطان».[٥٤]، وقال في الأديب أبي عبد الله بن أبي العافية البلنسي: «وله تصانيف في الأدب، عدَّد لي اسماءها منها :كتاب الروض الممطور في أوصاف الخمور، وما يتعلَّق بها من الشّذور».[٥٥]

وإذا كان بعض ما تقدَّم يفيد في بيان إفراد المؤلفين لمؤلفات أدبية تقوم على وفق إنشاء أغراض الشوق والحنين الشائع لدى الأندلسيين، وأوصاف الخمور وما يتعلَّق بها، ضمن منهاج المختارات فثمة إفراد أيضاً لمجلّدات قائمة على أساس نظم غرض شعري يفيد في بيان توجّهات الشاعر الأندلسي نحو عقيدة دينية تتمثل في التشيُّع، تعاطف معها البعض، بعد أن تمرَّست في مسيرتها على أساليب الانتشار بين البلدان، فـ «لا ريب أن الدعوة الشيعية قد استطاعت، بما أُتيح لها من خبرة طويلة في البيئات المختلفة، وما أخذت به نفسها من أناة ومصابرة، أن تتعرف سبيلها في هذه الأرض الجديدة».[٥٦] كما جاء في أخبار أبي الحجاج المُنْصِفي البلنسي، الذي خصَّص مؤلفاً مستقلاً من شعره الوجداني- العقائدي لمراثي سيدنا الحسين – عليه السَّلام - إذ «نظم وأفرد من شعره مجلّدة في الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب(صلوات الله عليهما)تشتمل على مراثيه». [٥٧]

نجد على نطاق أوسع ما يرتبط من هذا الجانب الفكري بأهل بيت النبي (صلّى الله عليه وسلّم)، لِما نُقِلَ عن أن صفوان بن إدريس المُرسي «أفرد من شعره مجلّدة في أهل البيت (صلوات الله عليهم)».[٥٨]

ويبدو أن سياق العرض بهذه الصورة للكتب المؤلَّفة له أكثر من مقصد دلالي، فمن الأمثلة على أنه لم يكن مجرّد سردٍ ما أفاده ابن الشعَّار من أحد المجاميع الأدبية المنطوي على غرض شعري واحد بعد الوقوف عليه، ناقلاً لنا رأيه الشخصي فيه، ولا سيّما بعد أن رصد لنا قضية فيه تنطوي على الغرابة في الوضع، يبدو أنه كان يفتش عنها في المؤلَّفات التي وقعت بين يديه، وقد مرَّ معنا شيء من ذلك [٥٩]، ومنه ذلك المؤلف الأدبي الذي يعود لأبي الفضل الجلياني، بقوله:

«ورأيت له كتاباً مشجَّراً ترجمه: بـ (منادح الممادح، وروضة المآثر والمفاخر من خصائص الملك الناصر) يعني صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي – رحمه الله تعالى – وهو يحتوي على نظم ونثر، جعله منطوياً على اثنتي عشرة مدحة، وهو غريب في وضعه جداً».[٦٠]

وكأنَّ ابن الشعّار قد استشعر في قرارة نفسه ما سيصيب بعض المؤلفات من ضياع بمرور الزمن عليها وتقادمه، فراح يبين لنا محتواها، ومنهاجها، ومن ذلك قوله في كتاب أبي محمد الأندلسي الموسوم: (الحنين إلى الأحباب والأوطان الغالب على النفس هواه والهوى سلطان) أنه مؤلّف من أجزاء عديدة، وهو عشرون باباً، والباب الأول هو باب في ذمِّ الغربة الاغتراب وبيان كون الغريب أذلّ من التراب[٦١]، وهذا ما يؤكِّد أن قسماً من مؤلَّفات أعلام الأندلس والمغرب الأدبية إنَّما جرى تأليفها في غير بلادهم بعد ابتعادهم عنها، و منها ماجاء لرموز السلطة الحاكمة آنذاك أيضاً، كما هو الحال مع مؤلفات ابن دحية الكلبي.[٦٢]

● **المتعلقات بهذا التوجُّه:**

وعلى هامش خبر كتاب المشجَّرات للجلياني الأديب المار ذكره آنفاً، ودواعي تأليفه سنقوم برصد أبرز المتعلِّقات بهذا التوجّه في التأليف الأدبي بوصفها ظواهر رافقت عملية النظم والتأليف أو ارتبطت بذوات المؤلفين أنفسهم، ولم تقتصر على عينة الدراسة الحالية، التي لم تكن بمنأى عن ذلك المنهاج المُوحّد المتَّبع في عملية تأليف الكتاب، من نحو:

١- الحديث عن قضية التكسُّب بالأدب، إذ أشار المُصنف بدقة زمانية إلى جماعة من الأدباء كانت قد شدَّت الرِّحال، وقدمت إلى بلاد المشرق اتخذت من أدبها ولاسيَّما قول الشِّعر وسيلة لتوفير متطلَّباتها بعد أن نأت بهم البلاد الجديدة عن أوطانهم، مع توافر المُكْرِمين لهم من رجال الدولة، فقد «كانت تجمع المُرتحلين بكبار رجال الدولة علاقات تقوم في معظمها على التكسّب، والاستعطاف، وطلب الحماية، ولعلَّ الأحوال التي عايشها المرتحلون في الوطن الجديد – والتي لم تخلُ من المُضايقات والشعور بألم الغربة، والحاجة إلى العون والأمن ممن هُم في موقع الأمر والنهي– أدَّت إلى مثل هذا اللون من الاستعطاف، وتوجّه معظم شعرهم هذه الوجهة».[٦٣] ومن أولئك النفر ابن رواحة الذي قصد إربل لهذا الغرض، إذ : « قدم إربل في شهر ذي الحِجة سنة خمس وعشرين وستمائة، مُجتدياً نوال سلطانها الملك المعظم مظفر الدين أبي سعيد كوكبوري بن علي بن بكتين- رضي الله عنه – وطالباً رفده، كعادة الذين يردون إربل من البلدان للاستجداء».[٦٤]

وإذا كان بعضهم مضطرَّاً إلى هذا السلوك بشعره للأسباب التي مرَّت في ظلِّ ظروف قاهرة فيبدو أن بعضهم لم يكن كذلك من الناحية المادية، ومنهم أبو محمد المراكشي إذ: «كان رجلاً جليلاً، ذا نعمة واسعة، وثروة ظاهرة ، يرحل إلى الملوك فيسترفدهم بأشعاره».[٦٥]

وأدرك ابن الشعَّار أن من الأسباب الداعية إلى هذا الأمر أنه كان وسيلة للعيش الرغيد لأولئك

المغتربين عن أوطانهم، جعلت بعضهم يعرض عما كان مشتغلاً من به علوم هنا وهناك من نحو علم الحديث الشريف ليتوجَّه نحو امتداح ذوي المال من الملوك وغيرهم آنذاك. قال في أبي جعفر الخُفَافي: «وكان مُحدِّثاً حافظاً طاف الآفاق، وجال البلدان في طلب الحديث وسماعه. ثم مال إلى الشِّعر، فامتدح به الملوك وسادات الناس، فحسنت حاله، وأثرى بعد الإملاق».[٦٦] لقد عزَّز ابن الشعَّار في تطرقه لهذه المسألة، وتأكيده على الجانب المالي في الموضوع بما لايقبل الشكَّ السبب المادي– غير التجاري بالطبع – إلى جانب الأسباب الدينية والعلمية وسواها التي دعت بعض الأندلسيين والمغاربة إلى الوفود على البلاد المشرقية، بيد أنه لايمكن تصور تفشي هذه الظاهرة كثيراً، كما دلَّنا على ذلك بنفسه في ضوء توافر بعض المحطَّات التي رافقت طرح الموضوع من قبيل:

أ-إشارته بصريح العبارة إلى أن بعضهم آثر العمل من كدِّ يديه على أن يسترزق من الشِّعر فحسب مع توافر الأسباب الفنية لذلك، كما قال في أبي عبد الله العبدري المُيورقي الشاعر أنه كان: «يسترزق من الوراقة والنَّسخ».[٦٧]

ب- إن بعضهم قد أوكلت إليه مهام إدارية في المشرق جعلته يستغني عن التكسّب بالشعر، بل يعرض عنه إعراضاً تاماً، مما عكس صورة ناصعة للأندلسيين حرصوا على بيانها كثيراً في ديار الغربة، حتى عرفوا بذلك، وانمازوا به، ومنهم أبو عبد الله اليابُري الذي «إتصل بخدمة الملك النَّاصر صلاح الدين يوسف بن أيوب – رضي الله عنه- وولي له أعمالاً، ثم من بعده بخدمة ابنه الملك العزيز عماد الدّين عثمان – صاحب الدار المصرية – ثم انتقل بعد موته إلى حلب، وسكنها واستخدمه الملك الظاهر غياث الدين غازي على قناة حلب، وأجرى له رزقاً حسناً».[٦٨]

ج- ذكر لنا طائفة من الشعراء من غير أن يشير إلى سلوكها هذا الاتجاه على الرغم من أن لها قصائد عديدة في مدح بعض الملوك، ومن جاء بعدهم آنذاك، منهم أبو الحسن الصنهاجي الذي «وفد إلى البلاد الشامية، في أيام الملك العادل نور الدين... فامتدحه بقصائد شتى، ومدح بعده الملك الناصر صلاح الدين... بعدة قصائد».[٦٩]، كما ارتبطت بعض القصائد بمناسبة أبرز الفتوحات الإسلامية التي شهدتها بلاد الشام، ومصر يومئذ، التي كانت قد وحَّدت الأمة، من نحو ما ورد لعبد المنعم الجلياني يمدح النَّاصر صلاح الدين، ويهنؤه بفتح بيت المَقْدس «وكان قليلاً ما يمتدح الناس».[٧٠]، فضلاً عمَّا جاء لأبي نصر الأموي الأندلسي في تهنئة الملك الأشرف بفتح دمياط.[٧١] وكان بامكانه أن يشير إلى ذلك كما أشار إلى أنَّ أبا محمد البوناني «كان شاعراً قصد بشعره الملوك»[٧٢]

٢- إلى جانب جهود ابن الشعَّار في ذكر عناوين المؤلَّفات القائمة، وبيان المنهاج المتَّبع في تأليف بعضها، بالإشارة إلى قيامها على وفق أنماط من نظم المنثور ثمَّ شرحه، أو شرح المنظوم، أو المحاكاة والمعارضة الأدبية للأعمال، وبيان محتواها العلمي، كما ورد أن لأبي الحسن

السخاوي كتاب(تنوير الدياجي في تفسير الأحاجي)يتضمَّن شرح أحاجي الزمخشري، ومعارضة كل واحدة بمثلها نظماً مسائل نحوية».[٧٣]، أو الاختيارات، كما مرَّ معنا، نجده لا يفصح أحياناً عن طبيعة الكتاب هل هو من وضع كاتبه، أم مجموع تحت عنوان له ؟ كما جاء مع كتاب (الروض الممطور في أوصاف الخمور، وما يتعلَّق بها من الشذور) لأبي عبد الله البلنسي[٧٤]، وقد يعمد إلى ذكر أبرز مؤلفات الشخصية، أولا يذكر عنوان بعض الكتب مُكتفياً فحسب بالإشارة إلى طبيعة الكتاب، أو يكتفي بالإشارة إلى أن للشخص مؤلفات في أحد حقول المعرفة، أو غيرها من دون أن يسميها على وجه السرعة، من نحو قوله في (أبرز) مصنَّفات أبي عبد الله الأندلسي: «وصنَّف تصانيف في الأدب منها: كتاب (شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي وكتاب شرح اليميني لأبي نصر العتبي)، وكتاب في البلاغة، وغير ذلك».[٧٥]

٣- بحكم التعامل مع شريحة أندلسية ومغربية أتقنت لغات أخرى إلى جانب اللغة العربية وظَّفتها فيما اشتغلت عليه نظراً لموقع نشوئها الجغرافي، لم يقتصر اطلاع ابن الشعَّار على مؤلفاتها العربية، ولاسيَّما وأن بعضاً من الأعلام كان يؤلِّف باللغة العربية وبغيرها كما يبدو للعيان جلياً ومنهم السيد أبو الربيع المغربي الذي أثنى ابن الشعَّار على استخدامه للغة العربية استخداماً بارعاً، وقال فيه : «وكذلك يفعل في اللغة البربرية، إلاَّ انني لم أسمعه يتكلَّم إلاّ بالعربية».[٧٦]

وقال أيضاً في أبي زكريا الحريزي وكان له نتاج غزير بعدَّة لغات شهدت له بعلو باعه في حقل الترجمة[٧٧]، ومنها اللغة العبرية مما حداه على أن يقدم على طرح صورة شكلية مزدوجة للقصيدة لديه تقوم على أساس التلاعب اللغوي بالشعر في عصره الذي شهد تلاعباً بالشكل الشعري للقصيدة، مما طلب توضيحاتٍ حوله تسهم في فكِّ ما فيه من إشكال ضمن حيِّز عملية التلقي[٧٨] إذ: «صنَّف مُصنفات باللسان العبري كثيرة منها «المقامات»، ومقامة مفردة سمَّاها « الروضة الأنيقة» باللسان العربي...، وكان يعمل قصائد أنصاف أبياتها الأول بالعبري، الأنصاف الأواخر بالعربي».[٧٩]

● الخاتمة والنتائج

بعد أن تعدَّدت مصادر ابن الشعّار في عملية توثيق الأدب – ولا سيَّما في محطَّة إنشاد الشعر – أفادت في إعطاء صورة نصيَّة أكثر حيوية، فضلاً عن بيانات أوثق عن نماذج الشعر الأندلسي والمغربي في مصنَفه الذي انفرد أحياناً ببعضها، مصحوبة بتعامل نقدي مع جانب النصوص المعروضة ينقسم على نوعين: الأول متحرِّر، وذلك بعد أن نهج المؤلِّف المنهاج الذاتي فيها بعد استيعاب جيِّد لآلياته التي تترك حرية من نوعها في أثناء العمل ضمن هذا الفضاء النقدي الفسيح والثاني الذي نجده مرتبطاً بالأول، إذ كان الدخول في بعض التفاصيل مُحاطاً بالحذر التام، ولا سيَّما في ضوء قلَّة التطرق إلى أنواع القضايا ضمن إطار النقد الأدبي، كما مرَّ معنا في قضية الأخذ الشعري، والاكتفاء أحياناً بنقل

مـا قيل في بعض النصـوص المعروضة من آراء على سـبيل التبنـي، الأمر الذي أسـهم في توليد قلّـة ملحوظة مع الوقفات عند النقد التطبيقي، ولعلَّ فائـدة ذلك كلِّه جـاءت لتصبَّ في مجرى التقديم بإعجاب والتعريف بأصحاب نماذج من المُنشدات تأسست في الغالب على وفق متطلبات متوارثـة لفني الشـعري العربـي، والنثر، وما تفرضه من إلمام أدبي واسع من لدن ابن الشعَّار، ومتابعة مثقَّفة وجادَّة لما هو بصدده، ولا سيَّما بعد أن سـعت الشـخصيات إلى توثيق قسم من نتاجها ضمن مؤلفات أكَّدت على رهان صلاحية البيئة الجديدة للنقل المعرفي إليها، ثم وللتأليف فيها، بوصفها رسالة في ضوء الاستبشار بضمان عملية الرجوع إليها، بعد أن راعى القسم الأعظم منها متطلَّبات المَرحلة.

الهوامش

(١)(الموصلي) م٢، ج٣ /ص ١٣٥.

(٢) المصدر نفسه، م٨، ج١٠ /ص ٣٣٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص٦٣.

(٤) المصدر نفسـه، م٢، ج٣ / ص ٢١٣. وللاسـتزادة ينظر لطفاً: م٤، ج٥، ص٦٢. ص٢٢٧.

(٥) المصدر نفسه، م٢، ج٣/ ص٣٥١.

(٦) المصدر نفسـه، م٧، ج٩/ ص ٢١٨. وينظر: م٣، ج٤، ص٢٦٧. م٥، ج٦، ص١٣٦.

(٧) المصدر نفسه، م٧ ،ج٩/ ص٢١٢.

(٨) المصـدر نفسـه، م٧، ج٩/ ص١٠٩. وينظـر: ص٢١٠. م. ن م٨ ج١٠ ص ٣٣٣.

(٩) المصدر نفسه، م٦، ج٧/ ص (١٨١-١٩٣).

(١٠) المصدر نفسه، م٤، ج٥، ص٢٣.

(١١) ينظر: المصدر نفسـه، م٥، ج٦/ ص (٩٥-٩٦).

م٤ ج٥ ص ٦٥.

(١٢) المصدر نفسه، م٢،ج٣/ ص٦٠.

(١٣) ينظـر : المصـدر نفسـه، م٤، ج٥/ ص (٣٠١-٣٠٢). وقد أشار ابن الشـعَّار إلى الخطبة ثم ما يتلوها من قصيدة، ولكن القصيدة توسـطت الخطبة في سياق التقديم.

(١٤) ينظـر: المصـدر نفسـه، م٤، ج٥/ ص (١٩٦-١٩٧).

(١٥) المصدر نفسه، م٢، ج٣/ ص (٦٠ -٦١).

(١٦) المصدر نفسه، م٨، ج١٠/ ص٣٢.

(١٧) المصـدر نفسـه، م٦، ج٧/ ص٩٣. وينظـر: ص٢٥٦. م٢ ج٣ ص٢٠٥. م ٨ ج١٠ ص٤١.

(١٨) المصدر نفسه، م٢، ج٣/ ص٢٢٩.

(١٩) المصدر نفسه، م٣، ج٤/ ص ٢٩٨.

(٢٠) المصدر نفسه، ص٦٥.

(٢١) المصدر نفسه، م٦،ج٧ / ص١٠٧.

(٢٢) المصدر نفسه، م٣، ج٤/ ص٢٦٧. والبيتان يدخلان فيما ذهب إليه الثعالبي من أمر تحسين القبيح. ينظر: (الثعالبي) باب ذكر المحاسن (ص٣٠- ٧٢). والبيتان أيضاً في (البلنسي) ص ١٥١.

(٢٣) (الموصـلي) م٦،ج٧/ ص١٨٨. والأبيـات في (الحاتمـي) ص١٣٦ ومـا بعدهـا، وجـاء فيـه «قال: فأعجبني، وقفوت معناه، فعملـت أبياتاً في هذا الروّي، وضمنتها هذا البيت بكماله إجابة لذلك الفقير رحمه الله فقلت ... الأبيات»

(٢٤) (الجاحظ) ج١/ ص٦٨.

(٢٥) (الموصلي) م٤، ج٥/ ص ٢٦٩.

(٢٦) المصدر نفسه،م٣، ج٤/ ص ٢٧٤.

(٢٧) المصدر نفسه، م٤، ج٥/ ص (٢٨-٢٩).

(٢٨) المصدر نفسه، م٧،ج٩/ ص٢٥٨. والبيت في (ابن عبَّاد) ص١٢:

وكـم ليلةٍ قـــد بتُّ أنْعَمُ جُنْحَها
بمُخْصَبَةِ الأردافِ، مُجدبةِ الخَصْرِ

(٢٩) (الموصلي) م٣، ج٤/ ص٣٠٠.
(٣٠) المصدر نفسه، م٢، ج٣/ ص ٢٣٢.
(٣١) المصـدر نفســه، م٧، ج٩/ ص١٨٧. وينظـر (الإربلي) ق١، ص٤٣٠.
(٣٢) (الموصلي) م٥، ج٦ ص ١٨٩.
(٣٣) المصدر نفسه، م٣، ج٤/ ص (٢٩٨– ٢٩٩).
(٣٤) المصدر نفسه، م٥، ج٦/ ص٢٨١.
(٣٥) ينظر : المصدر نفسه، م٤، ج٥/ ص ١٣٢.
(٣٦) المصدر نفسه، م٣، ج٤/ ص ٢٨٦. وينظر: م١، ج٢/ ص١٩٠.
(٣٧) المصدر نفسه، م٢،ج ٣/ ص٦٠.
(٣٨) المصدر نفسه، م٣، ج٤/ ص ٢٩٨.
(٣٩) ينظر: المصدر نفسه/ ص١١٣. ص٦٥. م٧، ج٨ / ص١٠٩.
(٤٠) ينظـر: المصـدر م٢، ج٣ / ص٢٣٢. ص٦١. ص٢٣٠. م٨، ج١٠/ ص٣٣.
(٤١) المصـدر نفســه، م٢، ج٣/ ص٩٥. وينظـر: ص١٣٤.
(٤٢) المصدر نفسه، م٢، ج٣ / ص٢٦٠.
(٤٣) المصدر نفســه، م٧، ج٩/ ص٢١٢. وينظر: م٣، ج٤ ص ٢٩٨.
(٤٤) (العسكري) ص ١٤.
(٤٥) (الخفاجي) ص ٨١.
(٤٦) (الموصلي) م٧، ج٩ / ص٨١. وينظر : م٣، ج٤/ ص٢٦٧.
(٤٧) المصدر نفسه، م٧، ج٩/ ص٢٥٧.
(٤٨) المصدر نفسه، م٦، ج٧/ ص١٨٣.
(٤٩) المصدر نفسه، م٨، ج١٠/ ص (٦٢ -٦٣).
(٥٠) المصدر نفسه، م٤، ج٥/ ص٣٠٠.
(٥١) المصدر نفسه، م٤، ج٥/ ص٢٢.
(٥٢) المصدر نفسه، م٣، ج٤/ ص٢٨٦.
(٥٣) ينظر: (عبّاس) ص ١٠٧.
(٥٤) (الموصلي) م٤، ج٥/ ص٢٦٤.
(٥٥) المصدر نفسه، م٦، ج٧/ ص٩٣.
(٥٦) (الحاجري) ص٢١.
(٥٧) (الموصلي) م ٨، ج١٠/ ص٢٨٧.
(٥٨) المصدر نفسه، م ٢،ج٣/ ص ١٣٤.
(٥٩) ينظر : المصدر نفسه، م٣،ج٤/ ص٢٨٦.
(٦٠) المصدرنفسه، ص ١١٨. ووصل كتاب(الجلياني) إلينـا، إذ درســه وحقَّقــه: (ســعيد)، ونــال بــه درجة الماجستير.
(٦١) ينظر: (الموصــلي) م٤، ج٥/ ص ٢٦٦. وقد ذكر ابن الشـعَّار في ص٢٦٤ أن اسـم الكتـاب (الحنين إلى الأوطان...)
(٦٢) ينظـر: المصـدر نفســه، م٤، ج٥/ ص (١٩٦-١٩٧).
(٦٣) (البدوي) ص ٢٧٢.
(٦٤) (الموصلي) م٢، ج٣ /ص٢٣١. وينظر: م٢، ج٣/ ص٢٢٩. م٤، ج٥/ ص٢٧٧.
(٦٥) المصدرنفسه، م٣، ج٤/ ص٦٥.
(٦٦) المصدرنفسه، م١، ج١/ ص١٨٦.
(٦٧) المصدرنفسه، م٦، ج٧/ ص ٢٣٨.
(٦٨) المصدرنفسه، م٥، ج٦/ ص٢٦٨.
(٦٩) المصدرنفســه، م٣،ج٤/ ص ٢٨٦. وينظـر: ص ٢٩٨، أيضاً.
(٧٠) المصدرنفسه، م٣، ج٤/ ص ١١٨.
(٧١) ينظـر: المصـدر نفســه/ ص١١٣. م ٤، ج٥/ ص٣٠٤.
(٧٢) المصدرنفســه، م٢، ج٣/ ص٣٦٤. وينظـر : م٨ ج١٠/ ص٣٣٠.

(٧٣) المصدرنفسه، م٤، ج٥/ ص٢٢.
(٧٤) المصدرنفسه، م٦،ج٧/ص ٩٣.
(٧٥) المصدرنفسه، م٥، ج٦/ص (٩٧-٩٨). وينظر : م٨،ج١٠/ ص(٦٢-٦٣).
(٧٦) المصدرنفسه، م٢، ج٣/ ص٦٠.
(٧٧) للإطلاع المُفَصَّل على إنتاجه (ترجماته ومؤلفاته) ينظر : (أحمد) ص (١٦-٤٩).
(٧٨) ينظر: (الموصلي) م٣،ج٤/ص١١٨. إذ طلب الناصر صلاح الدين من الجلياني الحضور ليحلَّ له كتاب المشجرات الذي كان قد عمله له، بعد أن وقف عليه فلم يهتد إلى قراءته.
(٧٩) المصدرنفسه، م٧، ج٩/ ص٢٥٧.

● المصادر والمراجع :

• (ابن عبَّاد)، المُعتمد (ت ٤٨٨هـ) / الديوان، جمع وتحقيق : د. حامد عبد المجيد، د. أحمد أحمد بدوي، (مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠م).
• (أحمد)، هيثم محمود إبراهيم/ الاحتيال في مقامات الحريزي العبرية، مصادره وأشكاله وأهدافه – دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي، ٢٠١١.
•(الإربلي)، شرف الدين (ت ٦٣٧هـ) / تاريخ إربل المسمى نَبَاهة البلد الخامل بمن وَرَدَهُ من الأماثل، ق١، تحقيق : سامي الصقَّار، (دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠ م).
•(البدوي)، آمنة سليمان / تجليات سقوط المدن الأندلسية في الشِّعر الأندلسي من (٤٥٦هـ – نهاية القرن السابع الهجري)، مجلة دراسات / العلوم الإنسانية والاجتماعية، م ٤٠، ع ٢، ٢٠١٣ م.
•(البلنسي)، ابن حريق (ت ٦٢٢هـ) / حياته وأثاره، دراسة وتحقيق : محمد بن شريفة، (د. م. ط١، المغرب، ١٩٩٦م).
•(الثعالبي)، أبو منصور (ت ٤٢٩هـ) / تحسين القبيح وتقبيح الحسن، تحقيق: شاكر العاشور، (مؤسسة المطبوعات العربية، بيروت، ط١، ١٩٨١ م).
•(الجاحظ)، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت ٢٥٥هـ)/ البيان والتبيين (ثلاثة أجزاء في مجلّد واحد)، ج١، حسن السندوبي، (المطبعة التجارية، القاهرة، ط١، ١٩٢٦م).
•(الجلياني)، عبد المنعم (ت ٦٠٢هـ) / منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر من خصائص الملك الناصر، دراسة وتحقيق: (سعيد) أمجد محمد، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية، قسم البحوث والدراسات التراثية، القاهرة، ٢٠١١ م.
•(الحاتمي)، ابن عربي (ت ٦٣٨هـ) / ذخائر الأعلاق، تحقيق: د. محمد عبد الرحمن الكردي، (مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٨م).
• (الحاجري)، د. محمد طه / مرحلة التشيُّع في المغرب العربي وأثرها في الحياة الأدبية، (دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٣ م).
• (الخفاجي)، ابن سنان (ت٤٦٦هـ) / سرُّ الفصاحة، قدَّم له واعتنى به ووضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين، (كتاب – ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠١٠ م).
• (عبَّاس)، د. إحسان / العرب في صِقلية – دراسة في التاريخ والأدب، (دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٩٩م).
• (العسكري)، أبو هلال (ت ٣٩٥هـ) / كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، د. ت).
•(المَوْصِلي)، ابن الشعَّار (ت ٦٥٤هـ) / قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور بعقود الجمان في شعراء هذا الزمان، (٩ أجزاء)، تحقيق : كامل سلمان الجبوري، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥ م).

Ibn al–Sha’ar al–Mousolli literary and critical care About the pioneers of Andalusia and Morocco

By: Dr. Nizar Shakour Shaker

Abstract

The research is about Ibn al-Sha’ar al-Mousolli literary and critical care about the pioneers of Andalusia and Morocco in the field of literature which is part of a book called (Qala’ed el-Jaman fi Fara’id Shu’arra Hatha el-Zaman) Known as (equd el-Jaman fi Shu’arra hdha el-zaman), the research has come out with serious findings like the phases of caring about discovering the image of the poetic text which might not exist in other sources. The other finding was identifying the critical dimension of the book through two phases: liberal and non- liberal, and in the light of following certain methods to clarify this matter by Ibn el Sha’ar which might introduce simple samples of Applied criticism in the framework of cultural criticism heritage.